

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/٦/٢٠

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

ما زال الحديث جارياً عن غزوة مكة. نجد في هذا السياق ذكر واقعة وقعت قبل الخروج لهذه الغزوة، وهي أن صحابياً حاول بسبب سداخته إخبار أهل مكة بمسير النبي ﷺ إليهم، ولكن الله أخبر رسوله بذلك وهكذا لم يصل إلى الكفار خير خطة النبي ﷺ. وبيان ذلك أنه لما بدأت في المدينة الاستعدادات للمسير إلى مكة فإن صحابياً بدرياً مقيماً في المدينة اسمه حاطب بن أبي بلتعة كتب رسالة إلى قريش يخبرهم أن رسول الله ﷺ قد أراد المسير إليهم. وأعطى هذه الرسالة امرأة من مريضة، اسمها كنود أو سارة، وكانت مولاة لبعض بني عبدالمطلب، وجعل لها أجراً على تبليغ الرسالة قريشاً، وقال لها: أخفيها ما استطعت، ولا تمرّ بالطريق المعروف، فإن عليه حرساً. فجعلت الورقة في شعر رأسها ثم فتلت عليها وخرجت بها. وكان مضمون هذه الرسالة أن النبي ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل (أي بجيش عظيم) يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده ﷺ، فانظروا لأنفسكم.

وفي رواية أنه ورد فيها: إن محمداً قد نفر بجيش، فإذا إليكم وإما إلى غيركم، فخذوا حذركم. لقد أحببت أن تكون لي بهذا يد عندكم.

وفي رواية أنه أرسل هذه الرسالة إلى صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل.

من جهة أخرى، أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بشأن هذا الخطاب بفضل دعواته المستجابة. فاستدعى ﷺ علياً عليه السلام. قال علي عليه السلام وهو يسرد هذه الواقعة: بعثني رسول الله ﷺ وأباً مرثد الغنوي والزبير وكننا فارس. قال لنا ﷺ: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ (مكان بين مكة والمدينة) فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين. فأدر كناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ. فقلنا: الكتاب؟ فقالت ما معي كتاب؟ فأنحنا بعيرها، فالتمسنا وفتشنا، ولم نر كتاباً. فقلنا

لها: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لُتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكَ. فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَيَّ حُجْرَتِهَا (أي ظهرها) وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، فَأَخْرَجْتُهُ. (وفي رواية أخرى في البخاري أنها أخرجت الكتاب من داخل شعر رأسها. فهناك روايتان بهذا الصدد) ثم انطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ. فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ (أي حاطبُ صاحبُ هذه الرسالة) اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعَنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَاطِبٍ: مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ (أي إني مؤمن ولست باغيا) أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ (أي عند قريش) يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنِّي أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِّنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنِّي أَهْلَهُ وَمَالَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا (أي لقد صدق فيما قال، وقد فعل ما فعل في سذاجة) وقال رسول الله ﷺ لعمر: أَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَهْلِ غَزْوَةِ بَدْرٍ؟ ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غُفِرَتْ لَكُمْ. فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

لقد ذكر حضرة المصلح الموعود أيضا هذا الحادث على ضوء ما ورد في كتب التاريخ وقال: في زمن النبي ﷺ أراد صحابي أن يبلغ أقرباءه في مكة سرا بخبر هجوم المسلمين، راجيا أن يعاملوا أقاربه بالحسنى بسبب مواساته هذه. لكن النبي ﷺ أخبر بهذا الأمر بوحي من الله. فأرسل النبي ﷺ عليا ﷺ وبعض الصحابة الآخرين وقال لهم: "اذهبوا إلى مكان كذا، فهناك امرأة، فخذوا منها الورقة". فلما وصلوا إلى هناك، وطلبوا من المرأة الورقة، أنكرت وجودها. فقال بعض الصحابة: "لعل رسول الله ﷺ أخطأ". فقال علي ﷺ: "كلا، إن كلام رسول الله ﷺ لا يكون خطأ أبداً، ولن أبرح حتى أحصل على تلك الورقة". (لهذه الدرجة كان إيمانه) فزجر المرأة، فأخرجت الورقة وسلمتها إليه.

يقول المصلح الموعود وهو يسرد هذه الواقعة بمزيد من التفصيل: كتب صحابي ضعيف الإيمان إلى أهل مكة رسالة بأن رسول الله ﷺ قد خرج مع جيش قوامه عشرة آلاف، لا أعرف وجهته بالضبط، ولكن أغلب ظني أنه قادم إلى مكة، وإن لي بعض الأقارب في مكة وأتوقع أنكم ستساعدونهم في ساعة العسرة هذه ولا تدعونهم يتعرضون لأي أذى.

لم تصل هذه الرسالة إلى مكة إلا وقد دعا النبي ﷺ عليا ﷺ ذات صباح وقال له: اذهب إلى مكان كذا، فقد أخبرني الله تعالى أنك ستقابل هناك امرأة راكبة بعيرا ومعها رسالة إلى أهل مكة، فخذ الرسالة منها وأت بها إلي فوراً. وعندما هم علي بالسفر قال له رسول الله ﷺ: "إنها امرأة فحذار أن تقسو عليها مبدئياً بل عليك أن تصر وتلح عليها، وإن لم تعترف بوجود الرسالة ولم تنفع التوسلات فيمكنك أن تمارس بعض القسوة، وإذا احتجت لقتلها يمكنك ذلك أيضاً، ولكن لا تسمح أن تمر الرسالة بأي حال، لأن الرسالة هامة جداً فيجب منعها".

فوصل علي ﷺ إلى ذلك المكان، ووجد المرأة فبدأت تبكي وتحلف وتقول: هل أنا خائنة ومخادعة؟

يمكنك أن تفحصني. ففحص جيوبها وأمتعتها ولكن لم يعثر على الرسالة. قال بعض الصحابة: لعل الرسالة ليست معها، غضب عليٌّ ﷺ وقال: عليكم بالسكوت، ثم قال بحماس شديد: والله إن الرسول لا يكذب أبداً. فقال للمرأة بأن محمداً رسول الله قال: إن معك رسالة، والله لا يكذب. ثم شهر سيفه وقال: يجب أن تسلّمِي الرسالة لي وإلا فاعلمي أنني لو اضطررت لأفحصك عارية لفعلت ذلك أيضاً لأن رسول الله ﷺ صادق وأنت كاذبة. فعندما هُدّت بالتعرية ارتعت وكشفت خصلات شعرها وسلّمت رسالة كانت قد أخفتها في خصلات شعرها.

على أية حال، بدأ النبي رحلته بعد ذلك، فقد ورد عن مغادرته إلى المدينة أنه ﷺ عيّن أبا رهم كُثُوم بن حُصَيْن الغفاري نائباً عنه في المدينة. وبحسب رواية ابن إسحاق، انطلق النبي ﷺ مع المهاجرين والأنصار وأحزاب من العرب بعد أن مضت عشرة أيام من رمضان. (لكن وفقاً لرواية في مسند أحمد، انطلق النبي ﷺ من المدينة في اليوم الثاني من رمضان. وقد رجّح العلامة ابن حجر شارح البخاري رواية الثاني من رمضان). وكان بعض القوم راكبين على الخيل وبعضهم على الجمال.

عندما انطلق الجيش بقيادة رسول الله ﷺ من المدينة، كان يضم حوالي ٧٤٠٠ مقاتل. وقد ازداد هذا العدد بانضمام قبائل مختلفة مثل بني أسد وسليم وغيرهم، حتى بلغت عشرة آلاف مقاتل أثناء التقدم في طريق مكة. وعندما وصل النبي ﷺ إلى مقام صلّصل، (وهو جبل يقع بعد ذي الحليفة قرب مقام البيداء على الطريق الصاعد)، أرسل ﷺ الزبير بن العوام مع مئتي فارس إلى الأمام. وقد ذُكر في بعض الكتب عدد الجيش الإسلامي اثني عشر ألفاً، لكن الروايات الأكثر شيوعاً وصحة تشير إلى عشرة آلاف. والله أعلم بالصواب.

لقد ذكر المصلح الموعود ﷺ هذه الواقعة كما يلي:

وأرسل الرسول ﷺ رسلاً إلى كل القبائل المسلمة، ولما تأكد من أنها على أهبة الاستعداد وسينضمون إلى الجيش الإسلامي أثناء توجهه إلى مكة، أمر المسلمين في المدينة أن يقوموا بتسليح أنفسهم والاستعداد.

وفي أول يناير ٦٣٠ الموافق لعشر من رمضان بدأ زحف جيش المسلمين من المدينة، وعند محطات مختلفة على الطريق انضمت إليه القبائل المسلمة الأخرى. (لقد كتب المصلح الموعود فقط عشرة من رمضان هكذا) وعندما دخل الجيش بريّة فاران بعد قطع منازل عدة من السفر، كان عدد المسلمين هو نفسه الذي تنبأ به النبي سليمان عليه السلام من قبل، أي عشرة آلاف.

في هذا السفر، كانت السيدة أم سلمة رضي الله عنها من أزواج النبي ﷺ المطهرات برفقته.

ووفق بعض الروايات، كانت أم المؤمنين السيدة ميمونة رضي الله عنها أيضاً معه.

وفي رواية للبخاري، ذُكرت ابنة النبي ﷺ السيدة فاطمة رضي الله عنها أنها كانت أيضاً برفقته.

كان قد تم هذا السفر في شهر رمضان. وتشير الروايات إلى أن النبي ﷺ صام في الأيام الأولى من السفر، لكنه لم يستمر في الصيام بعد ذلك، بل نهى الصحابة ﷺ عن الصيام.

وفي البخاري عن ابن عباسٍ أَخْبَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا غَزْوَةَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ الْمَاءَ الَّذِي بَيْنَ قَدِيدٍ وَعَسْفَانَ (وهو يبعد عن مكة ٤٢ ميلاً) أَفْطَرَ فَلَمْ يَزَلْ مُفْطِرًا حَتَّى انْسَلَخَ الشَّهْرُ.

وهناك رواية أخرى من البخاري أيضا عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنَصَفَ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ فَسَارَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ يَصُومُ وَيَصُومُونَ حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عَسْفَانَ وَقَدِيدٍ أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا.

يقول عن ذلك شارح البخاري العلامة ابن حجر يرى البعض أنه ﷺ أَفْطَرَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْكَدِيدِ عِدَّةَ أَيَّامٍ.

واختلفت الروايات في الموضع الذي أفطر ﷺ فيه. ويقول العلامة العيني في شرحه للبخاري، (صحيح أن البعض يقول أنه أفطر في الكديد ولكن له تفاصيل أخرى). فاختلفت الروايات في الموضع الذي أفطر ﷺ فيه. يرى العلامة العيني بأنه ورد في بعض الروايات أنه أفطر في عسفان بدل الكديد، وورد أنه أفطر في كراع الغميم، وذكر البعض أنه أفطر في قديد، وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: اختلفت الروايات في الموضع الذي أفطر ﷺ فيه، وَالْكَدِيدُ فِي قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَكُلُّهَا مُتَقَارِبَةٌ، وَالْجَمِيعُ مِنْ عَمَلِ عَسْفَانَ. لما سار رسول الله ﷺ من العرج في فتح مكة رأى كلبة تهر على أولادها وهن حولها يرضعنها، (وهي واقعة تتعلق بالرحمة بالحيوان).

فأمر سيدنا جعيل بن سُرَاقَةَ أَنْ يَقُومَ حِذَاءَهَا، لَا يُعْرَضُ أَحَدٌ مِنَ الْجَيْشِ لَهَا، وَلَا لِأَوْلَادِهَا وَلَا لِزَعَجِهَا. كان النبي ﷺ قد أرسل فرقة من الفرسان المسلمين قدام الجيش لإلقاء القبض على الجواسيس، كما كان بنو خزاعة أيضاً لا يدعون أي مارة على الطريق يمر. فجاءت الفرقة التي أرسلها النبي ﷺ بجاسوس من هوازن بعد أن قبضوا عليه. فسأله رسول الله ﷺ فأخبره أن هوازن يجتمعون ضدك. فقال ﷺ: "حسبنا الله ونعم الوكيل". وأمر خالد بن الوليد أن يحتجز هذا الجاسوس حتى لا يذهب ولا يحذر الناس.

ولما وصل ﷺ إلى قديد، انضم إليه بنو سليم وكانوا ألف رجل. وهناك عقد الرايات والألوية ووزعها على القبائل. في ميدان قديد تم تنظيم جيش النبي ﷺ على أساس قبلي، فعُين على كل قبيلة رجلٌ من نفس القبيلة كقائد.

قسم رسول الله ﷺ الأنصار على أساس عائلي إلى اثنتي عشرة فرقة: ست فرق من الأوس وست من الخزرج. وكانت لكل من علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص من المهاجرين راية. لقد ذُكر هنا حدثٌ أنه خلال هذه الحملة أسلم أبو سفيان بن الحارث - وهذا غير أبي سفيان بن حرب - وعبد الله بن أبي أمية. خرج أبو سفيان بن الحارث ابن عم رسول الله ﷺ، وكان أخاه من الرضاعة أيضاً، مع ابنه جعفر وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة من مكة، والتقوا برسول الله ﷺ في مكان يُدعى ثنية العقاب بين مكة والمدينة.

كان هذان الرجلان من أشد أعداء النبي ﷺ، فلم يجرؤا على الحضور مباشرة إلى النبي ﷺ. بل قالت له ﷺ أم المؤمنين أم سلمة، وهي أخت حضرة عبد الله بن أبي أمية: إن ابن عمك أبا سفيان بن الحارث وابن عمك وهو صهرك أيضاً أي عبد الله يرغبان في لقاءك.

فقال ﷺ: "لا حاجة لي بهما، لا أريد أن ألتقي بهما. أما ابن عمي فقد أهانني" - وكان شاعراً يهجوهم ﷺ - "وأما عبد الله فما الذي لم يفعله بي في مكة؟ لقد بلغ الغاية في عداته لي، فكيف ألتقي بهما؟" فلما بلغ هذا الكلام أبا سفيان بن الحارث، قال مغلوباً بالعاطفة: "إن لم يرض عني محمد ﷺ ولم يأذن لي بلقائه، فسأخرج مع هذا الطفل" - أي ابنه الذي جاء معه - "إلى الصحارى حتى أموت جوعاً وعطشاً".

ولما اطلع النبي ﷺ على قوله هذا، رق قلبه الشريف فوراً فدعاهما وشرّفهما باللقاء. فأسلم كلاهما، وكان إسلامهما حسناً جداً بعد ذلك.

تعريف أبي سفيان بن الحارث هو كما ذكرت من قبل أن هذا أبو سفيان آخر. في تاريخ الإسلام شخصان مشهوران باسم أبي سفيان. الأول أبو سفيان الذي كان سيد قريش مكة وهو زوج هند التي مضغت كبد حمزة ﷺ عم النبي ﷺ، وهذا معروف باسم أبي سفيان بن حرب. والثاني أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم رسول الله ﷺ.

أحياناً يخطئ المؤرخون بسبب تشابه الأسماء فيذكرون أبا سفيان بن حرب بدلاً من أبي سفيان بن الحارث. مثلما قد ورد أن أبا سفيان كان ممسكاً بلجام بغلة النبي ﷺ واقفاً أمامه ﷺ إثر اضطراب بين المسلمين في غزوة حنين. فقال بعض المؤرخين أنه كان أبا سفيان بن حرب، بينما المؤرخون الآخرون يقولون إنه لم يكن أبا سفيان بن حرب بل كان أبا سفيان بن الحارث الذي كان أخا النبي ﷺ من الرضاعة أيضاً، إذ كانت حليلة السعدية أرضعته أيضاً. كان يحب رسول الله ﷺ حباً شديداً، وحين أعلن النبي ﷺ دعواه بأنه نبي، بات معارضا له بأشد العناد. وكان من كبار شعراء مكة، وهجا النبي ﷺ كثيراً، استخفافاً بمقامه الشريف. وكان سيدنا حسان بن ثابت يردّ على هجائه، وحيثما جاء في شعره "أبلغوا أبا سفيان هذا الكلام"، فالمقصود عادة أبو سفيان بن الحارث.

ولقد ورد في "تاريخ الخميس" أن أبا سفيان جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: "تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين" (علما أن هذه الآية رقم ٩٢ من سورة يوسف). فقال له النبي ﷺ: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين".

فقد ورد في الرواية، أن سيدنا عليا كان قد قال لأبي سفيان أن يقابل النبي ﷺ ويطلب العفو من حضرته ﷺ بهذه الكلمات. وورد أيضا أن أبا سفيان حين حضر النبي ﷺ لم يكن يرفع رأسه خجلا وحياء. باختصار أبو سفيان بن الحارث الذي كان من قبل ينشد الشعر في هجو النبي ﷺ، أصبح كل شعره بعد إسلامه مليئاً بالمحبة وحسن الاعتقاد برسول الله ﷺ، ونظم قصيدة في مدح النبي ﷺ بعد إسلامه. كان أبو سفيان بن الحارث من القلائل الذين يشبهون النبي ﷺ. بشره النبي ﷺ بالجنة، وكان يعد من أفضل الصحابة، وكان إسلامه حسناً جداً. قبل وفاته بثلاثة أيام حفر قبره بنفسه، وعندما حانت لحظة الوفاة قال: "لا تبكوا عليّ، فمنذ أن أسلمت لم ألوث نفسي بأي إثم". وعند وفاة النبي ﷺ، عبر عن حزنه العميق بقصيدة مؤثرة في رثائه، ومن بعض أبياتها:

أرقتُ فباتَ ليلي لا يزول ... وليلُ أخي المصيبة فيه طولُ
وأسعدني البكاء، وذاك فيما ... أُصيب المسلمون به قليلُ
فقد عظمت مصيبتُهُ وجلت ... عشية قيل: قد قبض الرسولُ
وتصبح أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل

فقدنا الوحي والتزليل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
ثم قال في بيت مخاطبا فاطمة رضي الله عنها:

أفاطم، إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي فهو السبيل
فعودي بالعزاء، فإن فيه ... ثواب الله والفضل الجزيل
وقولي في أبيك ولا تملي ... وهل يجزي بفعل أبيك قيل
وفي هذه القصيدة، قال أيضاً مخاطبا فاطمة رضي الله عنها:
فَقَبْرُ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرٍ ... وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ

توفي أبو سفيان بن الحارث ﷺ في سنة ١٥ هـ أو ٢٠ هـ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ﷺ. (أسد الغابة).

والثاني عبد الله بن أبي أمية ﷺ، نبذته التعريفية بإيجاز هي أن اسمه كان حذيفة.

وهو ابن عاتكة، عمه النبي ﷺ، وأخو أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. عندما أعلن النبي ﷺ نبوته، كان عبد الله بن أبي أمية من أشد المعارضين له. وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبوعًا﴾. (الإسراء: ٩١) ويقال إن عبد الله بن أبي أمية هو من قال هذا الكلام.

لكنه بعد اعتناقه الإسلام، أظهر تفانياً كبيراً، فشارك ببسالة في غزوة حنين، واستشهد في غزوة الطائف إثر إصابته بسهم. (أسد الغابة)

ورد عن انضمام العباس رضي الله عنه إلى جيش الإسلام أنه عندما بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سفره نحو مكة، رحل العباس رضي الله عنه من مكة إلى المدينة مهاجراً. والتقى العباس رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم في الجحفة، وهي مكان يبعد عن مكة بمسافة ٧٦ ميلاً. أرسل العباس رضي الله عنه أمتعه إلى المدينة، ثم عاد مع النبي صلى الله عليه وسلم متحماً إلى مكة وبدأ السفر معه. (سبل الهدى)

والتعريف بالعباس بن عبد المطلب هو أنه كان عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أكبر منه بسنتين أو ثلاث. اشتهر بلقب "أبو الفضل" نسبة إلى ابنه الفضل بن العباس. وبعد أبي طالب، تولى العباس مهمة السقاية، أي توفير الماء للحجاج. كان حاضراً مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة، وثبت معه في غزوة حنين. توفي رضي الله عنه في سنة ٣٢ أو ٣٣ هـ. تتعدد الروايات حول إسلامه. فمنهم من يقول إنه أسلم قبل الهجرة، ومنهم من يقول إنه أسلم قبل غزوة بدر، أو قرب غزوة خيبر، أو قبل فتح مكة. وبحسب بحث السيد ميرزا بشير أحمد رضي الله عنه، لم يكن العباس قد أسلم حتى بيعة العقبة الثانية، إذ كتب: "أخذ النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس معه، وكان لا يزال مشركاً لكنه كان يحب النبي صلى الله عليه وسلم". (سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم) والراجح أنه أسلم قبل غزوة بدر، لكن جميع المؤرخين وكتاب السيرة النبوية يتفقون على أنه أسلم في مكة سراً دون إعلان ذلك، ليظل وسيلة لنقل أخبار مكة وأهلها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "بقاؤك في مكة أنفع". (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)

هناك رؤيا لأبي بكر رضي الله عنه عن فتح مكة، ورد عنها أنه قال أبو بكر رضي الله عنه وهو يذكر رؤياه عند النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أراي في المنام وأراك دنونا من مكة، فخرجت إلينا كلبة تهر، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فإذا هي تشخب لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معبراً: "ذهب كلبهم، وأقبل درهم، وهم سائلوكم بأرحامكم، وإنكم لاقون بعضهم، (قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه):) فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه". (دلائل النبوة للبيهقي) هذا أبو سفيان آخر.

واصل النبي صلى الله عليه وسلم سفره ونزل عند مر الظهران. ورد أنه بفضل الحكمة العسكرية الرائعة للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته المستجابة، حدثت معجزة عظيمة، إذ قطع جيش المسلمين المكون من عشرة آلاف مقاتل مسافة حوالي ٤٠٠ كيلومتر من المدينة، ونصب معسكره على بعد خمسة أميال فقط من مكة، دون أن يصل إلى أهل مكة أي خبر عن ذلك.

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون مر الظهران عشاء، وأمر أصحابه أن يوقدوا عشرة آلاف نار، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ عن هذا الجيش الإسلامي كيف وصل إلى مكة دون أن يعلم به أحد. فيقول: لم يتجهز جيش كبير مثله في تاريخ العرب إلا عند غزوة الأحزاب إذ كان الجيش في غزوة الأحزاب مؤلفاً من اثني عشر ألفاً. أي كانت تلك المرة الثانية في تاريخ العرب التي يبلغ فيها عدد الجيش هذا الحد. اللافت في الأمر أن جيشاً كبيراً مثله خرج من المدينة ولم يعرف به أحد. ثم أرى الله تعالى معجزة أن أعلن من دار الإعلان الإلهي وكُسرت دار الإعلان التي يملكها الأغيار. فعندما خرج رسول الله ﷺ دعا الله تعالى أن يصم آذان أهل مكة ويعمي أبصار جواسيسهم لئلا يرونا ولا يبلغ آذانهم كلامنا. فخرج رسول الله ﷺ ولم يصل إلى مكة خبر خروج جيش قوامه عشرة آلاف مع أنه كان في المدينة مئات المنافقين. ولم يعرف بخروجه أحد.

صحيح أن عدد الجيش في البداية كان سبعة آلاف وهو عدد كبير ثم ظل الآخرون يلحقون بهم في الطريق. ولكن لم يتمكن المنافقون من أهل المدينة أن يعثروا عليه كما سبق الذكر أي أن قريشاً أو أهل مكة لم يعرفوا بخروج النبي ﷺ ولا باقترابه إلى مكة. صحيح أنهم كانوا قلقين أنه ﷺ قد يهاجمهم ولكن ما كانوا يدرون أن المسلمين يهاجمونهم فعلاً.

كان أهل مكة في حالة تأهب إلى حد ما، حيث كانوا يتفقدون المناطق المحيطة ليلاً. وفي إحدى الليالي، كان أبو سفيان مع اثنين من زعماء مكة، وهما حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، يقومون بجولة، فرأوا جيشاً وخياماً ونيراناً مضطربة، كأنها نيران عرفات. وبدأوا يتخاطبون بعضهم بعضاً مخمّنين، فقالوا: "ربما كانوا بنو كعب، أي خزاعة، فقد أشعلت الحرب الأخيرة غضبهم". ثم نفوا ذلك بأنفسهم وقالوا: "لا، ليست لهم هذه العدة، لا يمكن أن يكونوا هم". ثم قالوا: "ربما كانوا بنو هوازن"، ثم نفوا ذلك أيضاً وقالوا: "لا، لا يمكن أن يكونوا هم". وبينما كانوا يتخمّنون، سمعوا صهيل الخيل وأصوات الإبل، فأصابهم خوف شديد من ذلك. بينما كانوا يتحدثون في هذه الأمور، قبض عليهم جواسيس النبي ﷺ الذين كانوا يراقبون الأحوال المحيطة ويتفقدون المنطقة، وأخذوهم إلى النبي ﷺ لتقديمهم إليه.

وفي رواية أخرى، أخبر الله تعالى النبي ﷺ كشفاً باقتراب أبي سفيان. فقد روى أبو ليلي ﷺ أننا كنا مع النبي ﷺ في مر الظهران، فقال النبي ﷺ: "أبو سفيان في أراك" (وهو وادٍ قريب من مكة) "اقبضوا عليه". فذهبنا إلى هناك وقبضنا عليه وأتيناه به النبي ﷺ.

قال ابن عقبة: فبينما هم، يعني أبا سفيان، وحكيم بن حزام، وبديلاً بن ورقاء كذلك لم يشعروا حتى أخذهم نفر كان رسول الله ﷺ بعثهم عيوناً له، فأخذوا بخطم أبعرتهم فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: هذا رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال أبو سفيان: هل سمعتم بمثل هذا الجيش، نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم.

وفي رواية أخرى، لما وصل رسول الله ﷺ إلى مر الظهران، رقى قلب العباس ﷺ لأهل مكة، فامتطى بغلة النبي ﷺ البيضاء المسماة "شهباء" وتوجه إلى أراك، متفكراً أنه ربما يجد شخصاً ينقل إلى أهل مكة خبر قدوم النبي ﷺ، ويطلب منهم أن يأتوا إليه طالبين الأمان قبل أن يدخل مكة بالقوة. وبينما كان يفكر في ذلك، سمع أصوات أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء. كان أبو سفيان يقول: "والله ما رأيت مثل هذه النيران وهذا الجيش من قبل". وقال بديل: "والله إنها نيران خزاعة، لقد ألهبتهم رغبة الحرب". فرد أبو سفيان: "والله، خزاعة ضعفاء وقليلون، لا يمكن أن تكون هذه نيرانهم أو جيشهم". فسمع العباس ﷺ أصواتهم وتعرف عليهم، كما تعرف أبو سفيان على العباس. فأخذ العباس ﷺ أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ، بينما عاد رفيقاه حكيم وبديل.

وفي رواية أخرى أن العباس ﷺ أخذهما جميعاً إلى النبي ﷺ.

وقد ذكر سيدنا المصلح الموعود ﷺ ذلك كما يلي:

عندما تحرك هذا الجيش نحو مكة بدا الصمت المخيم على كل مكان نذيراً بالويل والثبور لأهل مكة. فأقنعوا أبا سفيان بالخروج مرة أخرى ليتبين نية المسلمين، فخرج ليجد كل الفلاة وقد أضاءتها نيران المعسكرات على مسيرة أقل من يوم من مكة. كان الرسول ﷺ قد أمر بإيقاد النار أمام كل خيمة، فكانت تلك النيران المشتعلة أمام خيم عشرة آلاف شخص في الفلاة تقدم مشهد مهيباً.

سأل أبو سفيان أصحابه: ماذا يمكن أن يكون هذا؟ أهذا جيش هبط من السماء؟ أنا لا أعرف جيشاً عربياً بهذه الضخامة. ذكر أصحابه أسماء بعض القبائل، ومع كل اسم كان أبو سفيان يقول إن تلك القبيلة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. بينما أبو سفيان ورفاقه يتأملون الأمر إذ صاح به صوت في الظلام: "أبا حنظلة". (حنظلة كان اسم ولد لأبي سفيان وكان يُكنى به). "العباس؟ أنت هنا؟" هكذا رد أبو سفيان.

"نعم"، رد العباس: "إنه جيش الرسول جاءكم بما لا قبل لكم به ولو لم تقوموا بخطة محكمة تجاهه لكانت الهزيمة مقدرة لكم". أي ليس لكم إلا أن تتصالحوا.

هذا، وهناك مزيد من التفاصيل الطويلة لهذه الأحداث وسأذكرها مستقبلاً بإذن الله. وكما أقول دائماً عليكم أن تستمروا في الدعاء لينقذ الله العالم من المشاكل ويجول الظروف المضطربة حالياً إلى الأحسن ولا تتحول إلى الدمار أكثر.
